

# فقه الأسماء الحسنی

## الأول، الآخر، الظاهر، الباطن

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

١٢-٠٧-١٤٢٨هـ

تفریغ: أم همام الجزائرية

النسخة الإلكترونية الأولى

[www.ajurry.com](http://www.ajurry.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا  
إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.  
أمّا بعد،

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أيها الإخوة المستمعين،

ومن أسماء الله الحُسنى: الأول والآخر والظاهر والباطن.

وقد وردت هذه الأسماء الأربعة مجتمعة في موضع  
واحد من القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) [الحديد: ٣]

وخير ما تُفسّر به هذه الأسماء و يبين به معناها ما ورد  
في السنة النبوية في مناجاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه  
بهذه الأسماء مناجاة تتضمن بيان معاني هذه الأسماء  
وتوضيح مدلولاتها، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة  
-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: ((اللهم رب  
السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل  
شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ  
بك من شر كل شيء أنت أخذ بناصيته، اللهم أنت الأول  
فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت

الظاهر فليس فوقك شيء و أنت الباطن فليس دونك شيء  
اقض عني الدين وأغنني من الفقر)) [مختصر مسلم ١٨٩٩].

فبين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في هذا الدعاء الجامع  
معنى كل اسم و نفى ما يناقضه، وهذا أعلى درجات  
البيان، ومدار هذه الأسماء الأربعة على بيان إحاطة الرب  
-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بخلقه وهي إحاطتان:

○ إحاطة زمنية.

○ وإحاطة مكانية

فإحاطة أوليته بالقبل والبعد فكل سابق انتهى إلى  
أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته.

فأولية الله -عز وجل- سابقة على أولية كل شيء  
وآخريته سبحانه بقاؤه بعد كل شيء، فأحاطت أوليته  
وآخريته بالأوائل والأواخر، فما من أول إلا والله قبله  
وما من آخر إلا والله بعده، فهو -جل وعلا- الأول  
فليس شيء قبله، والآخر فليس شيء بعده، وهذه إحاطة  
زمانية.

و أما الإحاطة المكانية فقد أحاطت ظاهريته وباطنيته  
بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من  
باطن إلا والله دونه، كما قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ-: ((وأنت الظاهر فليس فوقك شيء و أنت الباطن  
فليس دونك شيء)).

فعلا على كل شيء بظهوره فهو العلي الأعلى الذي ليس فوقه شيء، استوى على عرشه المجيد، والعرش سقف المخلوقات و أعلاها، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فوق العرش، فظاهريته سبحانه هي فوقيته و علوه على كل شيء ودنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى من كل شيء ببطونه، فبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه فهو يدل على كمال إطلاعه على السرائر والخفايا و دقائق الأشياء وخبايا الأمور كما يدل على كمال قربه ودنوه فمع علوه على عرشه فهو قريب من خلقه محيط بهم، فلا توارى عنه سماءٌ سماءً و لا أرضٌ أرضاً، ولا يحجب عنه ظاهر باطنا؛ بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

معاشر المستمعين، وإذا عرف المسلم هذه الأسماء العظيمة، وعرف ما تدل عليه من الكمال والعظمة والإحاطة وجب عليه أن يعامل كل اسم بما يقتضيه من ذل و عبودية.

**فمعرفة أولية الله لكل شيء** وسبقه بالفضل والإحسان الأسباب كلها، تقتضي إفراده وحده بالذل والالتجاء وعدم الالتفات إلى غيره أو التوكل على سواه، وتقتضي التجرد من التعلق بالأسباب والالتفات إليها إلى التعلق بمن منه الإمداد ومنه الإعداد، وفضله سابق على الوسائل والأسباب.

**ومعرفة آخريه الله** تقتضي أن يُجعل وحده غاية العبد التي لا غاية له غيره ولا مطلوب له وراءه، إليه وحده المنتهى وليس وراءه مرمى ولا بعده مقصد، وتقتضي عدم الركون إلى الأسباب فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخريه ويبقى الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي والتعلق بالآخر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- تعلق بالحي الذي لا يموت وبالباقى الذي لا يزول.

ومعرفة ظاهريته وأنه فوق عبادته يدبر أمورهم وتصعد إليه أعمالهم تقتضي حسن توجه القلب إليه وتمازج الذل بين يديه، والخضوع لجناحه وعظمته الضراعة إليه دون سواه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)﴾ [لقمان: ٦٢].

وأما من لا يؤمن بظاهريه الله وعلوه فإنه ضائع مشتب القلب ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها ولا معبود يتوجه إليه قصده.

**ومعرفة باطنيته سبحانه** وشهود إحاطته بالعوالم وقربه من العبيد وعلمه بالبواطن والسرائر والخفيات تقتضي تزكية النفس وإصلاح السريرة وتطهير الباطن وتنقية القلب وعمارته بالإيمان والتقوى.

معاشر المستمعين، ففي هذه الأسماء الأربعة جماع معرفة الله و جماع العبودية له كما أن فيها قمعا للوساوس

المهلكة و الشكوك المريبة التي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان بغية إهلاكه وحرفه عن الإيمان.

روى أبو داوود في سننه بإسناد جيد عن أبي زميل سماك بن الوليد قال سئلت ابن العباس رضي الله عنهما فقلت: ما شيء أجده في صدري. قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به، قال فقال لي: شيء من الشك قال: وضحك. قال: ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله عز وجل: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، قال: فقال لي: فإذا وجدت في نفسك شيء فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾

فأرشد -رضي الله عنه وأرضاه- إلى هذا الذكر الحكيم لطرد الوسوس و قطع الشكوك.

وإلى هنا -معاشر المستمعين- تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

